ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

The Conditions of Ancient Carthage in North Africa during the First Century BC

Assistant Prof DR.TUAMA WAHEEB KHAZAAL *

Department of History
College of Arts
University of Tikrit
Tikrit, Iraq

* *Corresponding author: E-mail* : dr.toama@tu.edu.iq

***Keywords*:**C
Adverbs
Carthage
Africa
The first millennium .

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 17 Aug. 2020
Accepted 27 Aug 2020
Available online 26 Nov 2020
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

Within the development of time the mind of the ancient person is being developed both biologically and socially . This development leads to the stage of awareness and awareness of its existence and its need for others . The first appearance of human thinking is social . With the complexity of life , its development and the human need for advanced methods in primitive political thinking to solve its problems and dilemmas facing it in life , the human mind interacted with each stage and absorbed its requirements . It is natural for the human mind to be affected by the environment, namely its social and political requirements and influence it to achieve the finest civilizations in the ancient world . There is a general agreement that an objective and critical understanding that facilitates knowledge of the present and planning for the future

One of the topics that have not been clearly defined is the conditions of North Africa Civilization , especially the Cartage Civilization , in the ancient world . Students of ancient history in North Africa have to make more efforts to carry out serious research in order to unify the views and thus raise confusion and shed light on important civilizational, political and economic aspects in the ancient history of Carthage in North Africa

© 2020 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.27.2020.15

احوال قرطاج القديمة في شمال افريقيا ابان الالف الاول قبل الميلاد

ا.م.د. طعمه وهيب خزعل الدوري/جامعة تكريت/كلية الآداب

الخلاصة:

بتطور الزمن كان عقل الانسان القديم يتطور بيولوجيا واجتماعيا ووصل به الامر الى مرحلة الادراك والوعي بوجوده وحاجته للأخرين ، وكان اول ظهور من مظاهر التفكير الانساني تفكيرا اجتماعيا ، وبتعقد الحياة وتطورها وحاجة الانسان الى اساليب متطورة في التفكير السياسي البدائي لحل مشكلاته ومعضلاته التي تواجهه في الحياة ، كان العقل الانساني يتفاعل مع كل مرحلة ويستوعب متطلباتها وكان طبيعيا ان يتأثر العقل الانساني بالبيئة ومتطلباتها الاجتماعية والسياسية ويؤثر فيها ليحقق ارقى الحضارات في العالم القديم ، وهناك اتفاق عام على ان فهم الماضي فهما موضوعيا نقديا يسهل معرفة الحاضر والتخطيط للمستقبل.

ويعد موضوع احوال حضارة شمال افريقيا لاسيما حضارة قرطاج في العالم القديم من بين

المواضيع التي لم تتضح معالم دراستها بعد بصورة دقيقة ، ذلك ما يستوجب على الدارسين للتاريخ القديم في شمال افريقيا بذل المزيد من الجهود للقيام ببحوث جادة بغية توحيد وجهات النظر والرؤى من اجل رفع اللبس والقاء الضوء على جوانب حضارية وسياسية واقتصادية مهمه في التاريخ القديم لقرطاج في شمال افريقيا.

المقدمـــــة :

دراسة المغرب القديم لم تحظ باهتمام كبير من قبل الباحثين والمؤرخين نظرا لاعتبارات كثيرة وعلى الرغم من اهمية هذه الحقبة الزمنية القديمة الذي تعود اليها بداية ونشأة الحضارات القديمة في المغرب و شمال افريقيا، والاهتمام بالعصور القديمة تزامن مع المد الاستعماري الاوربي لشمال المغرب آنذاك اذ نجد المؤلفات مرتبطة بالعالم القديم لذا من الضروري ان نرجع الى هذه المؤلفات والتعامل معها بالحيطة والحذر مع المعلومات التي تحتويها ، ومن المنطق ان تتعرض الخزانة العربية من اوليات اخرى مرتبطة بالخصائص الجغرافية التي تميزت عن باقي البلدان التي توجد على الضفة الشمالية للبحر الاعلى (البحر المتوسط) وقربه منها اتاح له امكانية الاستفادة من التيارات الاقتصادية والمواد القادمة من الشرق القديم وبعض البلدان الاوربية عبر المحيط الاطلسي ، ومن خلال هذا يتبين لنا ان بلاد المغرب القديم ماهي الا حلقة وصل لحضارات متعددة ساهمت بدور فعال لاستقرار الشعب وادخاله لمرحلة تاريخية كبداية الازمة التاريخية للمغرب تقترن بظهور التجارة الى بلدان شمال افريقيا اذ أنشئت مراكز للتعامل مع الاهالي لاستبدالهم سلعهم بسلع اخرى وان كانت هذه المرحلة تميزت بكونها سلمية ذات اسس تجارية وثقافية اتاحت لسكان شمال افريقيا التعرف على المنتوجات الاجنبية فضلا عن انفتاحهم على تيارات فكرية تعود جذورها الى بلدان البحر الاعلى .

ونظرا لطبيعة البحث والافكار الأساسية التي يتضمنها ، قسم البحث الى مبحثين الاول شمل عناوين فرعية تم من خلالها تغطية الموضوع من جوانب مختلفة اما المبحث الثاني فتضمن توسع قرطاج وعلاقاتها

المبحث الاول :

قيام الحضارة القرطاجية ونشاطاتها

اولا : اسم قرطاج وموقعها :

أ – قرطاج :

هو اسم فينيقي عرف باسم قرت حدشت ويعني المديمة الجديدة التي اسسها الفينيقيين الذين قدموا من صور عام ٨١٤ ق.م ، وقد اطلقت كلمة فوني على فينيقيي الغرب فضلا عن نتاجاتهم [١].

ب– موقع قرطاج :

تقع قرطاج على شبة جزيرة واسعه تبعد حوالي ١٦ كم من جهة الشمال الشرقي لمدينة تونس المدينة الافريقية الحالية ، يحدها من الجنوب خليج تونس ومن الشرق البحر ، ومن الشمال بحيرة سوكرا المالحة الممتدة على الشاطئ ، وتتصل من الغرب بالقارة الافريقية ، وتنتهي عند البحر بنتوء صخري يبلغ ارتفاعه ١٥٠ م ، وينقسم الى قسمين شبه متساويين ، في الشمال سواحل متساوية تحد سهلا واسعا وخصبا ، قليل السكان آنذاك ، الا انه تغطيه بساتين غناء واراضي زراعية ، اما في الجنوب الشرقي لهذا النتوء الصخري الذي تقوم علية حاليا قرية سيدي بوسعيد يمتد سهل تتخلله الاودية الصغيرة ، فضلا عن ثلاث تلال تغطيها الخرائب التي يقع سنتر مدينة قرطاج فيها [٢].

ثانيا : تأسيس مدينة قرطاج :

من الجدير بالذكر ان بعض الحقائق التأريخية والأساطير التي وصلت الينا عن تأسيس هذه المدينة من المعلومات الدقيقة ، ولكننا نعلم ان أليسا هي اخت بيغمالين ملك صور هي مؤسسة قرطاج والمعروفة بديدون وهو اللقب الشعري الذي اطلقه فرجيل عليها ، ونكاد نجهل كل شيء عما يتعلق بسلالة أليسا وبيغا مالين فهل ينحدران من أحيرام ملك صور الذي عاصر سليمان وكان صديقه ربما هذا امر محتمل ، ام هل ينحدران من الملك ايتوبعل ويكاد يكون ذلك مؤكدا ، الا اننا عرفنا ذرية هذا الملك بواسطة روايات تاريخية وتوراتية وشعرية [٣].

ولا يستبعد ان تكون أليسا قد جلست على العرش وتزوجت آشرباس كبير كهنة ملكارت ، وبعد ان ارسل بيغماليون احدهم فقتل صهره ، عزمت أليسا على الهرب برفقة جماعة كبيرة من الأشراف الذين أخذوا بصحبتهم عددا كبيرا من عامة الشعب الساكنين في جوارهم كالبحارة والأجراء والعبيد وغيرهم ، وأبحروا بمراكبهم فوصلوا الى قبرص التي كادت السيطرة الفينيقية تشملها بالكامل ولا عجب اذا لاقى الهاربون استقبالا حسنا لان كبير كهنة الجزيرة كان يشاطر الملكة أليسا معتقداتها ، وقرر ان يرافقها مع جماعته الى غايتها ، فأكدت له الملكة اعترافا بجميله ان ذريته ستتمتع في المدينة الجديدة بالمناصب والامتيازات الكهنوتية ، واستفاد الهاربون من التوقف في قبرص من ضم سلالة من الكهنة وعدد كبيرا من الزوجات فضلا عن كانت جماعات من الفتيات يتغنين على شاطئ الجزيرة حسب تقليد ديني لسكانها تم اختطافهن من قبل الهاربون ليسكن معهم في قرطاج [٤].

هذا ومن نافلة القول بعد ابحار طويل وصلت أليسا مع اتباعها الى الساحل الافريقي ونزلت في بقعه لم يقع عليها الاختيار محظ صدفة ، اذ كانت هذه البقعة موقع فينيقي لانعرف اسمه الاول ، فسميت أليسا هذا المكان باسم قرت حدشت أي المدينة الجديدة وما كادت قدمها تطأ الشاطئ حتى اتصلت بأهالي البلاد الأصليين واستطاعت ان تحصل من رئيسهم الموافقة بان يمنحها من الارض مقدار ما يحتويه جلد ثور ، فأمرت الملكة بتقطيع الجلد المذكور الى اشرطة

دقيقه واحاطت بموجبها بقعة ارض واسعه استطاع اتباعها ان يقيموا فيها ، وانتظم تبادل تجاري مع اهالي البلاد الاصليين ، فضلا عن ذلك اقبل سكان تلك المستعمرة الفينيقية الواقعة على بعد عدة كيلومترات من شمال قرطاج ليزوروا مواطنيهم بعد بلغتهم شهرة أليسا وعرفوا نفوذ اصحابها ، تلك هي اسطورة تأسيس قرطاج التي رواها المؤرخ القلي تيمه وتروغ يوميه ، ولاشك ان هذه الرواية رغم كونها اسطورية الا انها تحتوي على اسس تاريخية ثابته [٥].

ثالثا : النظم السياسية والقانونية لقرطاج :

هذا ولا نعلم كثيرا عن النظم التي اعتمدتها قرطاج في ادارة شؤونها السياسية ، الا ما ذكره المؤرخ المشهور الم البارتيني في هذا الموضوع بالذات هو كل ما نعلم ان قرطاج كانت تنتخب كل عام رئيسين للحكومة لمدة عام واحد واعضاء مجلس الشيوخ لمدة حياتهم ، وهم الذين كانت بيدهم زمام الامور ، ولم يكن هذا المجلس يجتمع الا عند وفاة احد اعضائه لكي يعين من يخلفه ، فضلا عن كانت قرطاج تنتخب قائدا عسكريا تسند اليه مقاليد الامور العسكرية ادارة وقيادة ، ومما هو جدير بالإشارة في هذا الصدد انه لم يكن في استطاعة احد الرئيسين اللذين ذكر اعلاه ان يتخذ أي قرار الا بموافقة زميله الثاني [٦].

اما فيما يخص النصوص القانونية فكانت من اختصاص الرئيسين المشار لهما سابقا ، فضلا عن لجنة خاصة يعينها مجلس الشيوخ ، وكانت التقارير ترفع بعد تحريرها للمجلس بقصد الموافقة عليها ، واما الولاة وهم الممثلون للحكومة المركزية في سائر المناطق المحتلة فقد كانت الحكومة تختارهم غالبا من اصحاب المهن لاسيما التجار والصناع أي من الطبقة البرجوازية الرأسمالية التي كثيرا ما كانت تقدم مصالحها الشخصية على مصالح الشعب وهذا مما سبب تعكر صفو العلاقة بين الحكومة ورعاياها بسبب هذا العمل الشنيع [٧].

رابعا : النشاط الاقتصادي :

ويتمثل هذا اولا بالنشاط الصناعي الذي يشمل ميادين مختلفة ولكنه لا يدل على مهارة فنية متقدمة او على قوة ابتكارية تذكر ، وكان العمال واصحاب الحرف والصنائع يعتبرون من المواطنين الأحرار ولكنهم لا يدخلون في طبقة الأشراف ويقول ستيفان قسال " يمكن ان نتصور ان الرجال الذين كانوا يمسكون بزمام الدولة وكانوا أباب الحل والعقد وكانت بأيديهم شؤون التجارة البحرية الكبرى كما كانوا في الوقت ذاته يملكون المصانع التي تعمل فيها جماعة من العبيد ويستخدمون صناعا من العتقاء او الأحرار كشركاء في شركة توصية ويقسمون معهم الأرباح " ، وكانت صناعة المعادن اهم الترسانات والمصانع البحرية التي أمست تحت مراقبة الدولة وكانت تمون الأسطول والجيش ويمكن ان نتصور درجة انتاج قرطاج في هذا الميدان بما كانت تصنعه ابان الحرب الفينيقية الثالثة ، فهي اخرجت في شهر واحد ٣٠٠٠ ترس و٩٠٠٠سيف و١٥٠٠ رمح و٣٠٠٠٠ سهم وهم يناسب حوالي اربعمائة معمل للحديد ، واذا فرضنا ان المعمل كان

يشتغل فيه خمسة عمال فأن مجموع عددهم يكون ألفين عامل ، فضلا عن صنع السفن كان أمرا مسترسلا ومتواصلا سواء للحرب او التجارة ، ونحن نعرف ان حكومة قرطاج كانت بحاجة الى ثلاثة الالف سفينة تجارية عام ٤٨٠ ق.م لاستخدامها لنقل الجنود ومؤنتهم فضلا عن العتاد الحربي الذي يستخدموه [٨] .

من الجدير بالإشارة أن القرطاجيين كانوا نجارين وسفانين بارعين ، وكانوا يستخدمون خشب الأرز الذي اشتهرت به لبنان و الجبال في البلاد التونسية ، فضلا عن استخدامهم لخشب السرو، وكانوا يصنعون السفن ويجلبون المواد الاولية من اسبانيا لصنع الاشرعة والحبال ، هذا الى جانب وجود الكثير من الصناعات التي ميزت فترة وجود القرطاجيين مثل صناعة النسيج والحياكة والصباغة ودباغة الجلود فضلا عن صناعة الخزف وصناعة الزجاج [٩].

اما صناعة الملابس فقد كان شعب صور يلبسون الجبب الطويلة المصنوعة من الصوف ذات الاكمام الطويلة وتظهر لنا الجبة في أبسط أشكالها على تمثال صغير يمثل رجلا متعبدا تم العثور عليه في مدينة قرطاج وهذا التمثال يعد من احسن ما انتجه الفن الفينيقي وذلك لبساطة خطوطه التي اكسبته متانة وقوة ، [١٠]

هذا وقد تعلم الفينيقيو ن عن القرطاجيين بناء الحمامات وتجهيزها تجهيزا متقنا وخصوصا فيما يتعلق بالتسخين وجريان الماء وقد كانت محلات الاغنياء بقرطاج مجهزه بقاعات الاستحمام واحيانا بأحواض خاصة للسباحة وكانت هناك حمامات عامه منها ما كان مخصصا لطبقة الارستقراطية ومنها ما كان لعامة الناس ، وكانوا عامة الشعب بصنفيه يتطيبون ويكثرون من استعمال العطور كما وجدت على جميع القبور أوعية صغيرة وقناني معدة للطيب [١١] .

في الوقت الذي نجد فيه قرطاج كانت منهمكة بالتجارة وغير مهتمة بالزراعة ، واستمرت على هذا المنوال حتى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد الذي شرعت فيه امتلاك الاراضي الواسعة والخصبة التي نجحت في استغلالها حتى ان ديودورس الصقلي يحكي لنا بأن أغاتوقليس لما نزل بالوطن الفينيقي عام ٣١٠ ق.م قاصدا قرطاج وقف مدهوشا هو ومعيته من الجيش امام ما وقعت عليه اعينهم من كروم وحدائق وبساتين غناء كانت في غاية الروعة من ناحية التنظيم والنسيق ، وما رواه من مروج فسيحة ترعى بها قطعان من الاغنام والابقار والخيول [١٢]

المبحث الثاني : توسع قرطاج وعلاقتها

اولا : عظمة قرطاج :

حينما عظمت قرطاج وامتد نفوذها الى اقصى بلاد المغرب ، راودتها فكرة قطع علاقتها مع الوطن الام وبهذا الاجراء اصبحت مستقله تعمل على تنظيم شؤونها الادارية والسياسية محتفظة بصبغتها الشرقية القديمة ، ويمتاز اهلها بالمحافظة على لغتهم الوطنية فضلا عن تقاليدهم وألهتهم

المتعددة التي ورثوها عن اجدادهم الفينيقيين ، كما انهم يمتازون بالمحافظة على كل ما من شأنه ان يذكرهم بحياتهم الشرقية القديمة الاولى ، اما مبادئهم فهي مبادئ مادية وقد تشبثوا بها الى حد أن الحركة الفلسفية اليونانية الشهيرة لم تحرك فيهم ساكنا، بل لم تؤثر فيهم اطلاقا الا انهم تأثروا بالفن المعماري اليوناني ذلك الفن الذي نجد أثره ظاهرا في المقابر والكنائس التي يرجع بناؤها الى قرطاج كما يبدو جليا في نوع الجواهر والأقمشة ولأواني الطينية التي كانوا يستعملونها ، لذلك من الممكن ان نقول ان الفن القرطاجي كان خليط من فنين متباينين اليوناني والفينيقي الذي أتو بها من بلاد الشرق [١٣].

ثانيا : قوة قرطاج السياسية وكياناتها :

هذا ومن نافلة القول فأن ظهور قوى متصاعدة في البحر الاعلى ادت في بداية الأمر الى ظهور قرطاج كقوة سياسية بإمكانها الانفتاح على أسواق الفينيقية وذلك قبل ان تتعرض لتدمير من الجيوش الرومانية التي غزت معظم العالم القديم وبين تلك السيادة والغزو برزت وجود تنظيمات محلية على شكل ممالك ترجع شارتها الى القرن الثالث قبل الميلاد [١٤].

ولا يمكن بالضبط معرفة بداية ونوعية الصراعات السياسية الباكرة الفينيقية –الليبية في غرب المتوسط فيما عدا بعض المقتطفات التاريخية التي يغلب عليها الطابع الأسطوري في الكثير من الأحيان ويمكن الاستفادة من المعلومات المشار اليها ان الليبيين في بداية الأمر كانوا قد رحبوا بالتجار الفينيقيين الذين جاءوا بلادهم وذلك نظرا لغايتهم السلمية التي كانت لا تتعدى انشاء مراكز تجارية تتم فيها المبادلات اذ قام الفينيقيون بدفع ضريبة سنوية لليبيين عربونا للصداقة وحفاظا على المكان الذي أسسوا فيه مدينتهم الجديدة ودام ذلك حتى القرن الخامس قبل الميلاد ولقد كانت المحطات الفينيقية والقرطاجية في كل من الجزائر والمغرب الاقصى ثم ليبيا مرتبطة بقرطاج في تونس غير أننا نجهل طبيعة تلك العلاقة بينهما فقد كانت من حيث القانون الدستوري على ما يبدو تدور في فلك قرطاج الا انها تحتفظ لنفسها باستقلال محلي لاسيما ما يخص التسيير الاداري المعروف في وقتنا الحالي بالمجالس البلدية ، فضلا عن ادخل القرطاجيين بناء على ما تشير الية الكتابات التاريخية مفاهيم تكوين الدول وتنظيم الحكم ، ولقد وصف الدستور القرطاجي بأنه اضبط الدساتير ابان تلك الفترة ومن بين من اعترف بذلك أرسطو ومن ثم برزت عدة مدن ساحلية وداخلية في بلاد المغرب القديم تمتعت بكيانها الخاص في نطاق الكيان العام القرطاجي منها أوية طرابلس حاليا وصبراتة في ليبيا وتابوس سوسه حاليا وحدرومات كركوان حاليا ثم بنزرت في الساحل التونسي ، اما في الساحل الجزائري مثل هيبون عنابة حاليا ثم صلداي بجاية حاليا وايكوزيوم حاليا الجزائر العاصمة فضلا عن تيبازة وتمودة وطنجة ثم ليكسسوس في المغرب الاقصى [١٥].

ومن الجدير بالإشارة أنه يتبين من بدايات قرطاج ان المدينة وان لم تواجه لا عداوة مطلقا ولكن واجهت على اقل مطالبات صادرة عن سلطة منظمة ، وانما عن مجموعات صغيره من الرحل كان

يكفي لتفريقها مجرد استعراض للقوة العسكرية ، والواقع ان هناك اتاوات تدفع بانتظام برسم ايجار الأرض المغطاة بجلد الثور الاسطوري وهذا تفسير وهمي لاسم بيرصا التي هي عبارة عن تل تونسي كان اخر ملاذ للقرطاجيين ابان الحرب الفينيقية الثالثة حسبما يقال ، بل كان يقع ما هو اكثر من ذلك ، فعندما ضحت أليسا ديدون بنفسها على المحرقة وإنما فعلت ذلك هربا من الطلبات الملحة لحيارباص ملك الماكسيتانيين ، واخبرنا أوسثاتيوس عن هذه الشخصية انه كان ملكا على المازيس ومن المعلوم ان هذا الاسم الذي حملته اقوام كثيرة من افريقيا القديمة ما هو الا تحريف لاسم بربري أمازيغ او أمازيغي الذي تسمى به هذه الاقوام الا ان الاعتقاد يذهب الى ان الماكسيتانيين الذي ذكرهم جوستينوس كانوا يحملون الاسم نفسه بتحريف فاحش ،لكن ج . ديسانج جاء منذ وقت قريب بتفسير اخر يبدو مثير اكثر للاهتمام ، فقد ذكر ان الماكسيتانيين كانوا يسكنون اقليما قريبا بطبيعة الحال الى قرطاج لايزال اسمه باقيا في باقوس موسكي وهو نفسه وريث دائرة اقليم قرطاج وبذلك تتطابق الرواية الاسطورية مع الوقائع السياسية [١٦]

ومن الجدير بالذكر يبدو لنا منذ بداية تأسيس قرطاج ان المدينة قامت على كيانين متناظرين ، المدينة التجارية المشرقة وما يشبه السيادة الليبية ومن التقاء هذين الكيانين الشرقي والافريقي نشأ الواقع الفينيقي وما كان الامر الا مجرد نقل لما هو في صور وصيدا الى الاراضي الافريقية ، واذا كانت التقاليد الفينيقية قد بقت على حيويتها عند القدامى من الافريقيين كونها لم تكن عنهم غريبة وانما تشكلت بين ظهرانيهم في المدن حيث اسماء المواضع التي جلها سام لا تفلح في اخفاء الاضافة العرقية الافريقية[١٧].

ينبغي لنا ان نتخلص من المفاهيم المتحجرة المرتبطة بتصورها للدولة والحدود والتراب والملكة ، فهذه الكيانات لم تكن اشخاصا قانونيين واضحين ومحققين واذا كان من اليسير علينا ان نقابل بين قرطاج وإمبراطوريتها ، كما عرفناها في القرن الرابع قبل الميلاد من جهة وبين المملكتين النوميدية والمورية من جهة اخرى ، فإننا متى تمعنا في المعطيات الجغرافية أمكننا أن نستبين تدخلا يكاد يتعذر على الحل بين قوتين وعندما يقول بسودو سكيلاكس في القرن الرابع قبل الميلاد ان كل المستودعات او المدن الليبية بعد ان عدد ها بدأ من سرت الكبرى حتى أعمدة هرقل ، تعود الى القرطاجيين فربما بعثنا هذا القول على الشك في قوة المملكتين النوميدية والمورية بل ربما بعثنا على الشك في وجودها ايضا لو لم يكن في بناء المآثر في الوقت ذاته ما يقيم الدليل على وجود تلك المملكتين ونقيم الدليل على قوتها[١٨].

ثالثا : العلاقات القرطاجية – الليبية :

يتبين لنا مما سبق ان العلاقات القرطاجية – الليبية كانت علاقات سلمية استفاد منها الليبيون في الخروج من العزلة التي كانوا يعانوها في لوبة ابان فترة ما قبل التاريخ ، فضلا عن عرف المحليون

بفضل احتكاكهم بالقرطاجيين نظام الاستقرار وتأسيس المدن الى جانب اقباسهم حروف الكتابة البونية التي كانت سببا في دخولهم الفترة التاريخية واستمرت هذه العلاقة القوية الى بداية القرن السادس قبل الميلاد حين زحف الاغريق نحو الحوض الغربي للبحر الاعلى ومنافستهم للقرطاجيين ، لذلك عملت قرطاج على تجنيد المرتزقة من ابناء المناطق التي كانت تتعامل معها ، وقد أخلص المحليون في معاملاتهم للقرطاجيين في اول وهله ووقفوا الى جانبهم في كل المعارك التي خاضوها ضد الاغريق سواء كانت في كورسيكا كمعركة الاليا عام ٥٣٥ ق.م او في صقلية ذاتها ضد الزحف الاغريقي حينما عملت على تغير سياستها في حوض غربي البحر الاعلى وقد انعكس ذلك على علاقتها مع الليبيين اذ حاولت بعد تلك الهزيمة النكراء اعادة النظر في سياستها التجارية المعتمدة لحد بعيد على ربط العلاقات بين شرقي البحر الاعلى وغربه وان لا تعتمد على التجارة بمفردها بل لابد ان تعطي للزراعة مكانتها اللائقة وهنا يبدأ ما عرف في سياسة القرطاجيين بالاتجاة الافريقي وتخلصت من الضريبة الثقيلة التي كانت تدفعها لليبيين واكتسابها لأراضي جديدة خارج رآس بونه على حساب السكان الاصليين ماديا وبشريا ، هذا وقد اساءت قرطاج الى حلفائها من الليبيين نتيجة لاتباعها هذه السياسة فضلا عن فتحت عيونهم على التمرد والعصيان من اجل التخلص من نير سيطرتها[١٩] .

ومن الجدير بالذكر ان اول ظاهرة بدأت من تذمر الافريقيين ابان الحكم القرطاجي هي اجتماع الجند المرتزقة في العاصمة وكان عددهم اربعين الف مقاتل للمطالبة في زيادة مخصصاتهم وتقليد الرتب العسكرية للمستحقين منهم ، فضلا عن كان الضباط القرطاجيين يعاملون هؤلاء المرتزقة من الجند بقساوة ويتهاونون في دفع مرتباتهم لا بل اكثر من ذلك وهو تقديمهم والتضحية بهم امام اعداءهم اذ انهم يهربون في المعا رك ويتركون اولئك المرتزقة يتحملون نتائج الهزيمة ، وقد حدث ذلك اكثر من مرة امام اسوار المدن الاغريقية في صقلية اذ بات الليبيين ينظرون الى الحكم الأوليجارشي في قرطاج على انه شوكه غريبة في جسدهم فأصبحوا يتحينون الفرصة المناسبة لاسيما حينما تتعرض قرطاج لازمات صعبة من اجل التمرد عليها وظهر ذلك جليا في اكثر من مناسبة نذكر منها على سبيل المثال محاولة التصدي لقرطاج عام ٣٩٦ ق.م محاولين استغلال الضعف الذي دب في قرطاج لاسيما بعد هزيمة القائد خملكان امام اسوار سيركوزة في صقليه ، ويذكر ديودورس الصقلي بأن عدد المغاربة الذي اكتسحوا تونس وفرضوا طوقا عل قرطاج بلغ حوالي ٢٠ الف مقاتل وعلى ما يبدو ان هذا العدد مبالغ فيه ، اما في عام ٣٧٩ ق.م استغل الليبيين فرصة حدوث الاضطرابات السياسية داخل قرطاج فضلا عن تفشي مرض الطاعون في المدينة من اجل القيام بمحاولة جديدة من التمرد ويذكر ديودورس ابان غزو أجاثوكليس لبلاد المغرب القديم عام ٣١٠ ق.م وانضمام ايلماس النوميدي الاصل بجنوده في بداية الامر ثم عدل عن ذلك ، وكذلك انتهز النوميديون فرصة غزو القائد الروماني ريجولوس الى بلاد لوبه أي ليبيا الحالية لينقضوا على املاك الدولة القرطاجيه تابعين في ذلك مبدأ مباغتة العدو كلما كانت تصادفه مشاكل تضعف قواه غير ان اهل قرطاج كان لهم بالمرصاد بعد ان هزموا القائد الروماني الغازي وبعد ذلك عاقب القائد القرطاجي من خلال عبدة ملكارت بدون

رحمة كامل رؤساء القبائل فضلا عن هيمنته على جميع ممتلكاتهم [٢٠]

رابعا : الثورة الاجتماعية :

ومن الجدير بالذكر ان ابرز الاحداث التي تعرضت لها البلاد عللا الاطلاق هي ما يتمثل في مشاركة السكان المحليين في ثورة الجنود المرتزقة والتي عرفت فيما بعد بالثورة الاجتماعية التي اندلعت بين السنوات ٢٤١ – ٢٣٧ ق.م لكن على ما يبدو تم القضاء على هذه الثورة وقتل قادتها من الجنود المرتزقة فض لا عن كل من ساعدهم ، الا ان المصادر التزمت جانب الصمت عن الكلام والاشارة الى نوعية العلاقات التي سادت بين القرطاجيين وأتباعهم من السكان المحليين بعد القضاء على تمرد جيش المرتزقة ، ووقعت هذه التظاهرات عقب انتهاء الحرب الرومانية وبدلا من تنصفهم الحكومة اعتبرتهم عصاة ومتمردين وانتدبت قائدها الهمام هميلكار لإبعادهم عن العاصمة والنئي بها من شرهم ، فتقدم هذا القائد المظفر اليهم بكل ما أوتي من عزم و قوة لأجل ترويضهم وأجلائهم الى جزيرة شريك بن قوه ثم تبعهم هو ومن كان بصحبته من المقاتلين الموالين للحكومة الى ان هبطوا في خنقة الحجاج فضرب عليه طوقا من الحصار الخانق اذ قطع عنهم المدد والميرة[٢١] ، وما نفك عن حصارهم حتى هلك منهم عدد كبير بالجوع والعطش ومن بقي منهم تعرض للعقوبة بحد السيف على رقبته[٢٢]

وقعت هذه الواقعة وهي ابشع ما يعبر على القساوة من طرف الحكومة فضلا عن قلة اكتراثها بالرعية فكانت هذه الحادثة وبلا عليها فقد جفاها الوطنيون وغضبوا عليها ، اما من لا يجفو ولا يغضب عليها فقد ترك له في كل كورة مناحة وفي كل بيت لوعة لا بل في كل قلب جرحا نغارا يدعوا الى الثأر والانتقام للشهداء الذين ذهبوا ضحية الاستبداد القرطاجي ، ولم يلبث القائد هميلكار بعد ان دبر تلك الواقعة الشنعاء ام ادرك بفطنته مغبة ما سيعقبها من كوارث ان لم يتعجل بتهدئة الامور واصلاح الحال ، وذلك باسترداد ولاء الشعب المهضوم فضلا عن تعديل النظام الذي يعتبر اصحابه البلاد نفاية لاحق لهم فيها ، ولما احس المجلس منه هذا السعي توجس منه خيفة وسعى لإحباطه لا بل قرر التخلص من القائد هميلكار بإجلائه عن البلاد فأمر بإخراجه مع الجيش لتوجه صوب اسبانيا وفتحها حماية لامتيازات المتفوقين ،وبذل اعناق الرجال ، وهكذا يعمي الحرص بصيرة البصراء عن رؤية الحقائق الواضحة ، ولو قدر للقائد هميلكار النجاح لمشروعه لبقيت أوربا الطاغية الى اليوم مستعمرة دائميه لشمال افريقيا [٢٣] .

هذا ومن نافلة القول يظهر ضعف السيطرة القرطاجية على الاراضي الافريقية اكثر وضوحا ابان معاهدة عام ٢٠١ ق.م وما لها من عواقب وخيمة ، فمن المعروف ان سكيبيون قد اعترف لقرطاج بملكية الاقاليم الواقعة شرق الخنادق الفينيقية ، الا ان ماسينيسا كان مخولا له ان يطالب في تلك الحدود الخاصة بالأراضي التي كانت تعود لأسلافه ولهذا نجد الملك الماسيلي احتج على هذا البند

وفق ما هو مخول به والذي اتضح فيما بعد انه هو الدافع الحقيقي وراء الحرب الفينيقية الثالثة ، وقد اشار ش . سومان بوضوح ان ماسينيسا استعمل الحجج القانونية الدامغة بأثبات ان قرطاج لم تحز اقاليمها تلك الا بالغصب و ان ليس لها حق في تملكها كون هذا التملك يقوم اصلا على اساس غير مشروع وفق القاعدة المعروفة ما بني على خطأ فهو خطأ ، لذلك يمكننا القول بلغة اليوم ان ماسينيسا قام بالتنديد بالاستعمار[٢٤] .

ولكن علينا ان لا نقتاد بوهم المقارنات التاريخية فهذا النوميدي مثلا قد كان فينيقيا ولم يختلف لا جسمانيا ولا ثقافيا عن خصوصه القرطاجيين وانما فقط كانت تجري في عروقة دماء قرطاجية ، اما هانيبال فقد كانت تجري بعروقه دماء افريقية وكان التداخل بين ما نعتقد انهما عالمان متضادان من القوه ان كنت تجد حزبا نوميديا في قرطاج لاسيما في مطلع القرن الثاني قبل الميلاد ولا ينبغي ان تغيب عن اذهاننا العلاقات الكثيرة التي نسجت بين القادة الافريقيين والارستقراطية القرطاجية عن طريق الزواج ، فقد حفظ لنا التاريخ في ما لا يزيد عن جيلين الكثير من الذكريات للعديد من الزيجات او الوعود بالزواج بين الفريقين فهذا مثلا هميلكار قد وعد بإحدى بناته لزواج من ناراقاس ابان حرب المرتزقة الذي جاء بهم ناراقاس وحارب بهم الى جانب القرطاجيين ، وهذا أوزالسيس عم ماسينيسا تزوج من ابنة اخ هانيبال فضلا عن ما نعرف بالمصير المأساوي الذي كان من نصيب سوفونيسب التي انتحرت بعد ارغامها من قبل ابيها على الزواج من سيفاقس بدلا من ماسينيسا الذي هاجم سيرتا وجعلها عاصمه لنوميديا عام ٢٠٤ ق.م ، وان ماسينيسا الذي نشأ حسب ماأورد أبيانوس في قرطاج انه زوج احدى بناته لرجل قرطاجي الاصل يدعى مسيبسا انجب منها ولدا سمي أدهر بال وليس من باب ا لصدفة ان يكون الأمراء والقادة البربر ان يعتبروا قرطاج بمثابة العاصمة لهم وان الاسر الملكية البربرية كانت تسعى للاقتران ببنات الارستقراطية الفينيقية اللائي جئن بإلهة صور وسياسة قرطاج وهن يتزين بزينتهن ويفوح عطرهن الا ان هذه السياسة فشلت بالنهاية ، لذلك يمكننا القول ما كانت افريقيا قط بالقدر الذي امست علية بعد التخريب الذي وقع على قرطاج في عام ١٤٦ ق.م ، هذا وقد خلف لنا التاريخ الذي يولي اهتماما بالرموز صورة لأبناء ماسينيسا وهم يستلمون من سكيبيوس امليان المخطوطات التي تم انقاذها من النيران عربونا ماديا للإرث الروحي القرطاجي ، ولم يكن يوما التنافس بين الماسيليين وقرطاج يزيد كثيرا في شراسته وعنفوانه عن التنافس الذي كان قائما بينهم وبين المدن ذات الاصول الفينيقية [٢٥] .

على الرغم من دوام العداوة الحقيقية التي كانت بين قرطاج والافريقيين كما توحي لنا بها قائمة الحروب والتمردات التي استجمعها المؤرخ الكلاسيكي س . كسيل لما امكن ان نفهم كيف كتب البقاء للبلدان الفينيقية الصغيرة ، على الرغم من احاطتها بأسوار طويلة وضعيفة بطول الساحل النوميدي والموري ، ونحن لا نعتقد ان ما كان للفينيقيين على البربر سيطرة محققة بل ما كان بينهما نسيج فضفاض بين ثلاث اقطاب اولها المستودع القرطاجي او بما يعرف بالمدينة الفينيقية القديمة وثانيا الحاضرة الفينيقية ثم ثالثا الممالك المحلية[٢٦].

الخاتمـــة :

لقد برز في موضوع البحث جانب مهم لقرطاج في شمال افريقيا أبان الالف الاول قبل الميلاد ، وذلك من خلال تناول طريقة قيام الحضارة القرطاجية وتوسعها في شمال افريقيا وتعريج بالذكر للحضارة الليبية – الفينيقية التي كانت مزيج بين حضارة سكان المنطقة وشعوب قرطاج ، تم استعراض علاقات قرطاج الذي ميز المنطقة ابان قيام كلتا الحضارتين .

ومن الجـ دير بالذكر ان طبيعة الموضوع تتطلب التركيز على الجانب التاريخي والحضاري للوصول الى النتائج المتوخاة خاصة لاسيما وانه يتناول حقبة زمنية استوجبت دراستها والبحث فيها الرجوع الى المصادر التي تناولت موضوع البحث والمعروف عنها انها نادرة ولم تشر الى الصراع الحضاري الا عرضيا .

الهوامش :

١- ميادان ، مادلين هورس : تاريخ قرطاج ، ترجمة ، ابراهيم بالش ، بيروت – ١٩٨١ ، ص١٠
٢- المصدر نفسه ، ص ١٠ – ١١
٣- المدني ، احمد توفيق : قرطا جنه في اربعة عصور " من عصر الحجارة الى الفتح الاسلامي ، الجزائر -١٩٨٦ ، ص ٢٦
٤- ميادان ، مادلين هورس : تاريخ قرطاج ، ص ٣٩ – ٤٠
٥- المصدر نفسة ، ص ٣٩ – ٤٠
٦- المشرفي ، محمد محي الدين : افريقيا الشمالية في العصر القديم ، ط٤ ، بيروت – ب. ت ، ص ٤٣ -٤٤
٧- المصدر نفسه ، ص ٤٤
٨- صفر ، احمد : مدينة المغرب العربي في التاريخ ،ج١ ، تونس – ١٩٥٩ ، ص ١٠٩
٩- المصدر نفسه ، ص ١١٠
١٠- حارش ، محمد الهادي : التاريخ المغاربي القديم " السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي " ، الجزائر – ١٩٩٢ ، ص٨٢
١١- الناضوري ، رشيد : تاريخ المغرب الكبير " العصور القديمة . اسسها التاريخية الحضارية والسياسية " ، ج١ ، بيروت – ١٩٨١ ، ص ٥٦
١٢- المصدر نفسة ،ج١ ، ص٥٢
١٣- المشرفي ، محمد محي الدين ، افريقيا الشمالية في العصر القديم ، ص ٤٢-٤٣
١٤- الناضوري ، رشيد : تاريخ المغرب الكبير ، ج١ ، ص ٧٨
١٥- أنديشه ، احمد محمد : التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاثة ، ليبيا-١٩٩٣ ، ص١١٣
١٦- كامب ، غابرييل : البربر ذاكرة وهوية ، ترجمة عبد الرحيم حزل ، المغرب- ٢٠١٤ ، ص١٨٨
١٧- المصدر نفسة ، ص ١٨٨- ١٨٩
١٨- المصدر نفسة ، ص ١٨٩
١٩- انديشه ، احمد محمد : التاريخ السياسي والاقتصادي ، ص ١٢٣
٢٠- الثعالبي ، عبد العزيز : مقالات في التاريخ القديم ، بيروت-١٩٨٦ ، ص٢٣
٢١- الميره : وتعني الطعام – يقال ماره يموره اذا اتاه بميرة الطعام : ينظر : بن منظور، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط٣ ، بيروت-١٩٩٣ ، ٥ ، ص١٩١
٢٦- المصدر نفسه ، ص١٩١
ص
٢٢- الثعالبي، عبد العزيز: مقالات في التاريخ القديم ، ص٢٤
٢٣- المصدر نفسه ، ص٢٤-٢٥
٢٤- كامب ، غابرييل : البربر ذاكرة وهوية ، ص١٨٩ -١٩٠
٢٥- المصدر نفس

المصادر العربية

١- أنديشة ، احمد محمد : التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاثه ، ليبيا- ١٩٩٣
٢- الثعالبي ، عبد العزيز: مقالات في التاريخ القديم ، بيروت -١٩٨٦
٣- حارش ، محمد الهادي : التاريخ المغاربي القديم" السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ حتى الفتح الاسلامي" ، الجزائر- ١٩٩٢
٤- صفر ، احمد : مدينة المغرب العربي في التاريخ ، ج١ ، تونس -١٩٥٩
٥- كامب ، غابرييل : البربر ذاكره وهوية ، ترجمة ، عبد الرحيم حزل ، المغرب- ٢٠١٤
٦- المدني ، احمد توفيق : قرطاجنة في اربعة عصور" من عصر الحجارة الى عصر الفتح الاسلامي ، الجزائر- ١٩٨٦
٧- المشرفي ، محمد محي الدين : افريقيا الشمالية في العصر القديم ، ط٤ ،بيروت – ب ت
٨- ميادان ، مادلين هورس : تاريخ قرطاج ، ترجمة ، ابراهيم بالش ، بيروت- ١٩٨١
٩- بن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، ط٣ ، بيروت – ١٩٩٣
١٠- الناضوري ، رشيد : تاريخ المغرب الكبير " العصور القديمة . اسسها التاريخية الحضارية والسياسية " ج١ ، بيروت – ١٩٨١

Arab sources

Andisha ,Ahmed Mohamed : The Political and Economic History of The Three Cities ,Libya – 1993

Al-Tha alibi , Abdulaziz : Essays on Ancient History . Beirut- 1986

Harish ,Mohamed El Hadi : The ancient Moroccan political And civilizational history from the dawn of history until the Islamic conquest of Algeria -1992

Safar , Ahmed : The City of the Maghreb in History ,C 1, Tunis – 1959

Camp,Gabriel : Berbers Memory and ldentity, Translation by \bd al-Rahim Hazel , Morocco-2014

Al-Madani, Ahmed Tawfik : Cartagena in Four Ages "From the Age of Stones to the Era of Islamic Conquest,Algeria-1986

Al-Mashrafi , Muhammad Mohiuddin : North Africa in the Ancient Era, 4th Editior, Beirut-B T

Maydan , Madeleine Horse : History of Carthage, translation , lbrahim Balch ,Beirut- 1981

Bin Manzoor , Muhammad Bin Makram : Lisan AI Arab , 3td Edition , Beirut-1993

)-Nadouri , Rachid : History of the Great Maghreb " The ntiquity : Its Historical, Cultural and Politca Foundations, Part 1, Beirut -1981